تقدير موقف

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

نحو دبلوماسية عراقية وقائية للتعامل مع إدارة ترامب الجديدة

فراس إلياس

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط

مركز البيان للدراسات والتخطيط
Al-Bayan Center for Studies and Planning

نحو دبلوماسية عراقية وقائية للتعامل مع إدارة ترامب الجديدة

سلسلة اصدارات مركز البيان للدراسات والتخطيط/ قسم الابحاث / الدراسات السياسية / الدراسات الأمنية

الاصدار / تقدير موقف

الموضوع / السياسة الداخلية والخارجية، الأمن والدفاع

فراس إلياس / أستاذ الإستراتيجية والأمن الوطني في كلية العلوم السياسية جامعة الموصل

عن المركز

مركزُ البيان للدراسات والتخطيط مركز مستقلٌ، غيرُ ربحيٍّ، مقرُّه الرئيس في بغداد، مهمته الرئيسة -فضلاً عن قضايا أخرى- تقديم وجهة نظر ذات مصداقية حول قضايا السياسات العامة والخارجية التي تخصّ العراق بنحو خاصٍ، ومنطقة الشرق الأوسط بنحو عام. ويسعى المركز إلى إجراء تحليلٍ مستقلٍّ، وإيجاد حلول عملية جليّة لقضايا معقدة تهمُّ الحقليْنِ السياسي والأكاديمي.

ملحوظة:

لا تعبّر الآراء الواردة في المقال بالضرورة عن اتجاهات يتبناها المركز، وإنّما تعبّر عن رأي كتابِها.

حقوق النشر محفوظة © 2024

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org
Since 2014

مع فوز المرشح الجمهوري (دونالد ترامب) في الانتخابات الرئاسية الأمريكية التي أُجريت في منتصف شهر نوفمبر/ تشرين الثاني، يبرز تساؤل مهم يحتاج إلى إجابة «ما هو النهج الاستراتيجي الذي سيعتمده الرئيس ترامب حيال العراق»، وهل سنشهد استمراراً للنهج السابق الذي اعتمده خلال ولايته الأولى، عبر وضع العراق ضمن سياقات الصراع مع إيران، أم أنه سيخصص للعراق مساحة خاصة بعيدة عن إيران، وماهي تداعيات هذا النهج على مستقبل العلاقات العراقية الأمريكية؟ التي لا تزال غير مستقرة، بسبب تعدد الملفات والقضايا الداخلية والخارجية المؤثرة فيها.

بدايةً، يمكن القول بإن نظرة بسيطة لطبيعة النهج الاستراتيجي الذي اعتمدته إدارة ترامب حيال العراق خلال ولايته الأولى، ادخلت العراق في نفق مظلم للغاية، إذ حاول ترامب معالجة إخفاقات السياسة الأمريكية في العراق في عهد الرئيس الأمريكي السابق (باراك أوباما)، وقد يكون مقدر له أن يعالج ذات الاخفاقات التي وقعت فيها إدارة (جو بايدن) في العراق ايضاً خلال ولايته الثانية ايضاً، إذ إن التحديات التي ورثها العراق من الحرب على تنظيم (داعش) لا تزال مستمرة، وهذه التحديات شكلت حجر الزاوية في سياق التفاعلات الأمريكية الإيرانية في العراق.

سجل حافل بالتوترات

واجه العراق تحدياً كبيراً في التعاطي مع السياسة الأمريكية خلال الولاية الأولى للرئيس ترامب، إذ أدت نهاية الحرب على تنظيم (داعش) إلى حضور كبير للجمهورية الإسلام الإيرانية في العراق، هذا الصعود جعل إيران في صدام مباشر مع الولايات المتحدة، إذ حاولت تصفير الوجود الأمريكي في العراق، وتعزيز حضورها الاستراتيجي في المشهد العراقي، وأدت ردود الأفعال المتبادلة بين القوات الأمريكية والفصائل المنضوية تحت محور المقاومة إلى وصول العلاقات الأمريكية الإيرانية إلى لحظة الصدام الكبير، عندما قررت إدارة ترامب اغتيال اللواء (قاسم سليماني) ورئيس أركان الحشد الشعبي (أبو مهدي المهندس) في مطلع يناير 2020.

تسبب هذا الاغتيال في تصاعد ردود الفعل ضد الوجود الأمريكي في العراق، حيث أصدر مجلس النواب العراقي قراراً يطالب القوات الأمريكية بالانسحاب. إلى جانب ذلك، تصاعدت عمليات المقاومة التي استهدفت القواعد التي تتمركز فيها القوات الأمريكية. دفع هذا الواقع الولايات المتحدة إلى ممارسة مزيد من الضغوط على العراق من خلال توسيع عمليات الضغط السياسي والعسكري والاقتصادي.

إن المشكلة الأكبر التي واجهها العراق خلال ولاية ترامب الأولى، هو أصرار الولايات المتحدة وإيران على توظيف الساحة العراقية كساحة لتمرير الرسائل السياسية والعسكرية بين الطرفين، وهو ما انعكس سلباً على حالة الاستقرار السياسي والأمني في البلاد، فضلاً عن جعل الاقتصاد العراقي يواجه تحديات كبيرة للغاية، من خلال العقوبات التي فرضتها الإدارة الأمريكية على قطاع المصارف وحركة الأموال في العراق.

ورغم دخول العراق في حوارات استراتيجية موسعة مع الجانب الأمريكي، من أجل إعادة الاستقرار إلى العلاقات العراقية الأمريكية، إلا أن هذه الحوارات كانت معقدة للغاية، وذلك بسبب التاأثيرات المعقدة التي مورست في العراق، وتحديداً في وضع المزيد من العراقيل أمام السياسات الانفتاحية التي اعتمدها رئيس الوزراء العراقي السابق (مصطفى الكاظمي) حيال الولايات المتحدة والدول العربية، كرد فعل إلى انسحاب الولايات المتحدة من الاتفاق النووي مع إيران في مايو 2018.

هذا الواقع جعل العراق خلال الولاية الأولى للرئيس ترامب ساحة تستوعب ردات الفعل الأمريكية الإيرانية، ومع مجيء إدارة الرئيس (جو بايدن) وممارسة سياسة ضبط التهدئة مع إيران، إلى جانب نجاح اصدقاء إيران بالتاثير على المشهد السياسي في البلاد، سيتعين على العراق مواجهة موجة جديدة من التصعيد الأمريكي الإيراني خلال ولاية ترامب الثانية، إذ أن نظرة بسيطة لطبيعة الأسماء المرشحة لتولي حقائب وزارية في إدارة ترامب الثانية، توحي بما لا يقبل الشك بان العراق مقبل على فترة صعبة للغاية، وصعوبة هذه الفترة تأتي من كون هذه الأسماء تحمل نهجاً متشدداً حيال إيران.

ولاية ثانية أكثر تعقيداً

إن التعقيد الذي من الممكن أن يواجهه العراق مع إدارة ترامب الثانية، لا يتعلق بالصورة النمطية السلبية التي يحملها ترامب عن العراق، بل بسبب طبيعة التعقيدات التي تواجهها الولايات المتحدة في المنطقة بالوقت الراهن، والحديث هنا عن الحرب في غزة ولبنان، ومحاولات جر العراق لهذه الحرب، ورغم الأجندة الوطنية التي يعتمدها رئيس الوزراء العراقي (محمد شياع السوداني) في تحييد العراق عن الحرب الإسرائيلية في غزة ولبنان، إلا أن شبح الحرب لا زال يدور حول العراق، بسبب رغبة إيران المتزايدة في استنزاف إسرائيل في أكثر من جبهة إقليمية.

مما لا شك فيه أن إدارة ترامب الجديدة تدرك طبيعة التعقيد التي يواجهها الملف العراقي، فالعراق اليوم يختلف عن العراق خلال ولاية ترامب الأولى، إذ نجحت إيران، عبر حلفائها بالتأثير على الدولة العراقية، واصبحت في وضع مريح، وهو ما يفرض على إدارة ترامب الجديدة، التعامل وفق نهج استراتيجي جديد مع العراق، يراعي بالدرجة الأساس خلق مسافة أمان بين العراق كنظام سياسي، وبين مساحة تأثير حلفاء إيران في العراق، والأهم من ذلك أن العراق مقبل على انتخابات برلمانية عامة في العام المقبل. وهنا تأتي أهمية صياغة رؤية أمريكية واضحة، تهدف إلى إحداث تغيير حقيقي في نتائج الانتخابات المقبلة، بما يعزز النفوذ الأمريكي ويعيد التوازن السياسي داخل العراق.

ويمكن القول أن هناك ثلاثة ملفات رئيسية ستحكم الدور الأمريكي المقبل في العراق خلال ولاية ترامب الثانية، أولى هذه الملفات يتعلق بمدى تمسك إدارة ترامب بالاتفاقات العسكرية العراقية الأمريكية التي جرت في شهر سبتمبر 2024، والتي تقضي بانسحاب جزئي للقوات الأمريكية من العراق في سبتمبر 2025، وانسحاب كامل في سبتمبر 2026، وهل ستلزم إدارة ترامب بهذه الاتفاقات، أم ستتخلى عنها؟ أم تجعلها مرتبطة بطبيعة الاستحقاقات السياسية والعسكرية االناجمة عن الحرب في غزة ولبنان؟

أما الملف الثاني فيتعلق بالنهج الذي ستعتمده إدارة ترامب مع فصائل محور المقاومة، إذ تمثل هذه الفصائل أحد أبرز نقاط التعقيد التي تحيط بالعلاقات العراقية الأمريكية، ومن المتوقع أن تستمر خلال إدارة ترامب الثانية، بالنظر للسجل الحافل بالمواجهات بين الطرفين خلال ولاية ترامب الأولى، ومن المتوقع أن تكون إدارة ترامب الجديدة اكثر حزماً، سواءً على مستوى التصعيد العسكري، أو الاحتواء الاقتصادي، وهذا أمر سيرتبط بشكل مباشر بطبيعة العلاقة مع إيران.

وفي هذا السياق، تطرح إيران نفسها كملف ثالث مهم في سياق العلاقات العراقية الأمريكية، إذ لطالما شكلت إيران أحد مسارات التوجه الأمريكي في العراق بعد عام 2003، بحكم المساحة الإيرانية في العراق، ونظراً لتعثر مسار المفاوضات النووية بين إيران والولايات المتحدة، إلى جانب الدور الإيراني الداعم للحرب في غزة ولبنان، من المتوقع أن نشهد فصلاً جديداً من عقوبات الضغوط القصوى على إيران، إذ يشير حديث ترامب بعد فوزه بالانتخابات الرئاسية الأخيرة بالبحث عن اتفاق نووي جديد مع إيران، إلى محاولة إدارة ترامب الجديدة انتاج تصور جديد للعلاقات مع طهران، وبالتأكيد فإن هذا التصور الجديد سيكون خاضع لردات فعل كبيرة من إيران كي يتبلور على أرض الواقع.

إن استمرار نهج العقوبات القصوى على إيران، يعني أن العراق سيواجه تحديات كبيرة للغاية، وذلك نظراً لاعتماد العراق بشكل كبير على قطاعات الطاقة والكهرباء والتجارة الإيرانية، إذ إن فرض عقوبات أمريكية موسعة وجديدة على إيران، يعني أن على العراق إيجاد مسارات إقليمية بديلة، أو مواجهة تداعيات كبيرة خلال الفترة المقبلة.

مسار استراتيجي عام

إن العراق لا يشكل فقط نقطة ارتكاز للمنافسة الأمريكية الإيرانية في الشرق الأوسط، ولكنه يواجه أيضاً العديد من الأزمات التي ترتبط بشكل غير مباشر بالبيئة الاستراتيجية الإقليمية، إذ إن أكثر ما يثير القلق هو الازمة الاقتصادية المستمرة بسبب عدم استقرار اسعار النفط وتفاقم الصراعات الاقليمية، كما تسببت حالات الفساد وانتشار البطالة في تعثر العجلة الاقتصادية في البلاد، مما يشير إلى أن العراق لا يزال يسير على طريق السيادة الكاملة، في مجالات الاقتصاد والسياسة والأمن، وهو ما يجعلها ملفات حاسمة في العلاقة مع إدارة ترامب الثانية.

ومن المحتمل أن تقدم إدارة ترامب الجديدة مجموعة من الاسئلة التي ينبغي على الجانب العراقي تقديم إجابات واضحة بشأنها، من أجل ممارسة نهج جديد مع العراق، أو على أقل تقدير تحييد العراق عن مسار العلاقة الأمريكية مع إيران، ومنها:

1. ماهي التدابير التي من الممكن أن يقدمها العراق لحماية المصالح والمعسكرات والشركات الأمريكية في العراق؟
2. كيف ستتمكن الحكومة العراقية من ضبط حركة الفصائل؟
3. ماهي وجهة نظر حكومة السوداني من السياسات الإيرانية في العراق، وكيف ستتعامل معها مستقبلاً؟
4. ماهي الإجراءات الاقتصادية والسياسية التي من الممكن أن تعتمدها الحكومة العراقية في مواجهة التقلبات الاقتصادية والطاقوية في المنطقة؟
5. ما الذي يريده العراق من الولايات المتحدة على الصعد الأمنية والاستخبارية، وماهي الإجراءات التي يمكن أن تقدم عليها الحكومة العراقية في تحقيق وحدة وظيفية على مستوى هيكل القوة العسكرية؟ خصوصاً فيما يتعلق بمكافحة تنظيم (داعش)، أو التهديدات التي تتعرض لها دول الجوار انطلاقاً من الأراضي العراقية.

وفي مقابل هذه الاسئلة الأمريكية؛ من المتوقع أن تكون هناك أسئلة عراقية أيضاً، والتي ينبغي على إدارة ترامب الجديدة الإجابة عليها وهي:

1. ماهي الخطوات العملية التي من الممكن أن تقدم عليها الولايات المتحدة في حفظ السيادة العراقية، واعتماد برامج واضحة لدعم العراق في تحركاته الإقليمية والدولية؟
2. ماهي الإجراءات التي من الممكن أن تقدم عليها الولايات المتحدة في دعم برامج التنمية الاقتصادية والصحية، فضلاً عن اعتماد برامج لتطوير القدرات العسكرية العراقية امنياً واستخبارياً ولوجستياً؟
3. كيفية التعاطي الأمريكي مع الحالة الإيرانية ومحور المقاومة؟ وهل سيكون العراق جزءاً من أي إجراءات تصعيدية قد تعتمدها الإدارة الأمريكية ضد إيران مستقبلاً؟
4. كيف ستتعامل الولايات المتحدة في ما لم يتمكن العراق من الوفاء بأي التزامات قد تطلبها الولايات المتحدة، خصوصاً تلك المتعلقة بإيران أو احتواء محور المقاومة؟

ما هو المطلوب عراقياً؟

يمكن القول إن العراق بحاجة إلى أن تكون هناك رؤية وطنية عراقية واضحة، في تحديد الأهداف الأساسية المبتغاة من إدارة ترامب الجديدة، فضلاً عن إفهام الجانب الأمريكي؛ أن الوحدة الوطنية العراقية، والاقتصاد العراقي، ودعم القدرات العسكرية العراقية، هي ثلاثة مسارات ينبغي على الولايات المتحدة الالتزام بدعمها وتطويرها.

بالإضافة إلى ضرورة أن تكون هناك رؤية أمريكية واضحة لطبيعة أدوارها المستقبلية في العراق، وينبغي أن تكرس لخدمة دعم وتطوير المؤسسات العسكرية والمدنية العراقية، وليس للضغط على دول الجوار أو تهديدها. كما ينبغي على العراق أن يوضح للجانب الأمريكي، أنه جزء من حالة الاستقرار في الشرق الأوسط، ومن ثم يجب على الولايات المتحدة أن لا تجعل منه ساحة للمواجهة المباشرة أو غير المباشرة مع إيران، كما أنه على العراق أن يتوصل لرؤية واضحة مع الجانب الأمريكي، حول طبيعة دعم الاقتصاد العراقي، وكيفية توفير السبل الدولية والأمريكية لدعمه وتطويره، وما هي الأدوار التي يمكن أن تقوم بها الولايات المتحدة في هذا المجال.

كما يجب على العراق أن يطلع الجانب الأمريكي على طبيعة حاجات العراق الأمنية والاستخبارية، في الإطار الذي يخدم تقويض جهود تنظيم (داعش) على تهديد الأمن الوطني العراقي، وبالشكل الذي يقوي من قدرات الأجهزة الأمنية الرسمية العراقية، إلى جانب ضرورة أن تكون هناك رؤية مشتركة لطبيعة التعاطي العراقي والأمريكي مع الحالة الإيرانية في العراق، إذ إنه من غير الممكن أن يتمكن العراق من إعطاء الجانب الأمريكي التزامات واضحة في هذا المجال، خصوصاً في ضوء النفوذ الإيراني الواضح على العديد من الأحزاب والفصائل المسلحة المرتبطة بها، إلا أن هذا يتطلب من العراق ايضاً أن يبذل جهوده في هذا الإطار، من أجل عدم ترك مجال لاستغلال الاستفزازت التي يقدم عليها كل من الطرفين الإيراني والامريكي؛ وبالشكل الذي ينعكس سلباً على السيادة العراقية.

ومن اجل تهذيب سياسات ترامب المقبلة حيال العراق، ينبغي على حكومة السوداني بذل المزيد من الجهود في إطار التفاهم مع فصائل محور المقاومة، وبالشكل الذي يعيد للعراق صورة الدولة القادرة على فرض سلطانها القانوني على جميع التراب الوطني، وذلك عبر العديد من الإجراءات والحوافز الإدارية التي ينبغي أن تقدم عليها الحكومة العراقية، وبالشكل الذي يقلل من المخاوف الأمريكية في هذا الإطار.

وفي الختام، يمكن القول إن المعيار الرئيسي لأي علاقة عراقية أمريكية ناجحة خلال الفترة المقبلة؛ سيكون عبر التزام الولايات المتحدة كدولة، وليس إدارة الرئيس (دونالد ترامب)، بالبقاء على مسار استراتيجي واضح ومستقر في العراق، وفق جداول زمنية واضحة وصريحة، توضح التزامات الطرفين، وحقوق وواجبات كل منهما، إذ لا يمكن للولايات المتحدة أن تنجح بالانسحاب من العراق، بمجرد هزيمة تنظيم (داعش)، أو احتواء إيران والفصائل المسلحة المرتبطة بها، بل عبر وضع برامج واضحة وشاملة، تساعد العراق كدولة ومؤسسات على الحياة، وضبط وتطوير وتفعيل مؤسساته الأمنية والمدنية، وصولاً لتحقيق الغاية النهائية المتمثلة، بعراق قادر على أن يكون عضواً فاعلاً في المجتمع الدولي، وقادراً على ضبط التوازنات الإقليمية، وعنصراً للأمن والاستقرار في الشرق الأوسط.

لِدولةٍ فاعلةٍ ومجتمعٍ مُشارِك

www.bayancenter.org
info@bayancenter.org